مذبحة السادات في حلب١٢١٢هـ

بعد أن أفل نجم التشيع في حلب، ابتعد الشيعة إلى القرى المحيطة بها، ومن بقي في المدينة فقد تسنن وفي ذلك يقول الغزي في تاريخه(١٩٢/١):

«ثم في حدود الالف. الهجرية. وما بعدها أخذ أهل التشيع يتنكرون وبأفعال أهل السنة يتظاهرون» «وربما كان أهل السنة في اواسط القرن الثالث عشر يظفرون بشيعي فعل منكراً، فيشهروه باحراق خشبة يُطاف بها في شوارع حلب ويُنادى حاملها هذه خشبة فلان الرافضي، ثم انقطع هذا العمل لانقراض الشيعة وتلاشيهم بالمرة، غير أنه لم يزل يوجد في حلب عدة بيوت معلومة يقذفهم بعض الناس بالرفض والتشيع، ويتحامون الزواج معهم، مع أن ظاهرهم على كمال الاستقامة، وموافقة أهل السنة والجماعة».

أما مذبحة السادات التي جاءت نتيجة طبيعية للمد الطائفي الذي طال البلاد الحلبية في تلك الازمان وعن وقائعها يحدثنا صاحب نهر الذهب (٣١٢/٣) فيقول: في رمضان في هذه السنة (١٢١٢هـ) عظمت الفتنة بين السادات واليكجرية في حلب وجرى بينهما منازعة وقتال وتغلب اليكجرية على السادات، فالتجأ (السادات) إلى جامع الاطروش، وحوصروا فيه، ومنع اليكجريه وصول الماء اليهم، وشددوا عليهم الحصار، ونفذت أقواتهم وعيل صبرهم واشرفوا على الهلاك من الجوع والعطش، فأستأمنوا اليكجرية فامنوهم على أنفسهم، وحلفوا لهم الأيمان المغلظة على ذلك، فوثق السادات منهم، وفتحوا ابواب الجامع.

فما كان إلا أن هجم اليكجرية عليهم وفتكوا بهم: قتلاً وجرحاً وسلباً، وسبياً.

والسادات يستجيرون بهم، ويستغيثون بالنبي وآله، فلا يلتفتون اليهم، وكانوا يقتلون السادات على انحاء شتى فمنهم: من يقتلونه نحراً في عنقه، ومنهم من يبقرون بطنه، ومنهم من يفلقون بالسيف هامته، ومنهم من يذبحونه من قفاه أو من عنقه، ومنهم من يطرحونه في البئر أو في حفيرة حياً.

وكان السيد يستغيث بشربة من الماء قبل أن يقتلوه فلا يغيثوه بل يقتلوه ظمآن...

وقد نظم شعراء العصر في هذه الواقعة عدة قصائد نعوا فيها السادات وهجوا اليكجرية، فمما قاله الشيخ محمد وفا الرفاعي من قصيدة قوله:

كل المصـــائـــــب قد تسلى نوائبها الا التـــي ليـــس عنها الدهر سلوان

هي المصيبة في آل الرسول فكم ... سرى بأخبارها في الناس ركبان
من آل بيت رسول الله شرذمة ... من النوابغ احداث وشبان
آووا لبعض بيوت الله من فرقٍ ... من العدو وللأعداء عدوان
فجاء قوم من الفجار تقصدهم ... فأمنوهم ولكن عهدهم خانوا
وحالفوهم على فوز بأنفسهم ... لكنهم مالهم عهد وايمان
وكيف صحَّ قديماً عهد طائفةٍ ... ضلت وليس لهم في القلب ايمان
سلوا عليهم سيوف البغي واقتحموا ... كما تهجَّم جبار وشيطان
وباشروا قتلهم فيما بدا لهم ... فبعضهم ذابح والبعض طعان
أو باقر لبطون أو يمثل أو ... ضراب سيف وفتاك وفتان
أو مقتفٍ اثر مهزوم ليقتله ... وقلبه لدماء الآل ظمآن
أو خائضٍ بدماء القوم مفتخر ... بالسيف مستولع بالهتك ولهان
أوكاسر عظم مفتول وقاذفه ... كما تكسر أصنام وأوثان
وكل هذا وآل البيت ما رفعت ... لهم عليهم يد والرب ديان

❖ ❖ ❖

فلو سمعت عويل القوم من بعد ... اذ يستغيثوا لهدت منك أركان
يارب أرملة ريعت بصاحبها ... وحولها منه أيتام وصبيان
يارب والدة كبت على ولدٍ ... فمزقوه ومارقّوا وما لانوا

يقول الغزي وهي طويلة، ثم يذكر قصيدة ثانية لمحمد أفندي منها:

أهكذا تفعل الإسلام في نفر ... المصطفى حبهم من قبل ما كانوا
سلوا عليهم سيوف الكيد وابتدروا ... سلباً وقتلاً وما دانوا وما لانوا

إلى قوله:

هدرتموا دم ابناء الرسول فهل ... فرعون أوصاكم فيه وهامان

وقال بعضهم في هذه الحادثة أيضاً:

يا مصطفى ان القلوب منغصة ... لبنيك في الشهباء حلت منقصه
في جامع الاطروش سال نجيعهم ... فغدت بهم أرجاؤه متقمصه
أدرك فجسم الدين أنهكه الضنا ... وكوى بني السادات ابن الحمصة
عهدت إليهم بالامان وأصبحت ... أعلامها بيد الخداع منكصة
يا سينها في النازعات أحله ال ... مولى وعمهم العذاب وخصصه
أدماء أعداء الا له ثمينة ... ودماء آل بني الرسول مرخصه
فلأنت اولى بالجميع وهذه ... شكواهم زفت اليك ملخصه